من شؤون المسلمين والعالم

لمن نكتب تحت هذا العنوان ؟

هل نكتب لحكام المسلمين ؟

هل نكتب لحكام المسلمين وأكثرهم يعرفون من هذه الشؤون مثل ما نعرف أو أكثر مما نعـــرف ، ولكـــنّهم لا يستفيدون لأمتهم وبلادهم مما يعرفون ، ولا يفكرون إلاّ في أنفسهم ومطامعهم وأهوائهم ، ولو قادوا أمتهم وبلادهم إلى الدمار ، وإلى الذلّ والعار .

أكثر هؤلاء الحكام لا يطلبون الحق ولكن يعملون لإخفائه ، ولا ينشدون الواجب بل يفرون منه وإن تظـــاهروا بطلبه .

أكثر هؤلاء في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخنا أشبه ما يكون بالممثلين على خشبة المسرح يظهـــرون للجمهـــور بشخصية ووجه ، ويعيشون بواقعهم شخصية أخرى قد تكون بعيدة عن الأولى كل البعد ، بل إنّ بعضهم ليبـــدون للعيون على المسرح أبطالاً مبدعين ، وقد رسمت لهم في الحقيقة أدوارهم الأصلية ، وكمن وراء حركاتهم وكلمـــاتهم مؤلفون ومخرجون آخرون من هنا أو هناك أو هنالك .. ولم يكونوا في الحقيقة أكثر كثيراً من بيادق ، بيـــادق بيـــد الأهواء والأعداء الأقوياء ، وآلهة متكبرة متجبرة على المواطنين والأقرباء الضعفاء .

وأكثر هؤلاء الحكام هم الأداة التي استخدمها أعداؤنا لاغتيال عقائدنا ، ونسف مقوماتنا ، وتهديم حصوننا مـــن الداخل ، وهم الستار الذي تحرك من خلفه –وما يزال يتحرك– الاستغلال الرأسمالي والشيوعي ، والمكـــر الـــصليبي والصهيوني بمختلف الأشكال والوسائل ، وهم الذين قادونا ويقودوننا إلى الهزائم على مختلف المستويات ، وحققـــوا فينا آمال الأعداء ، وما لم يكن يستطيع تحقيقه بأنفسهم الأعداء ..

إنّ أكثرهم أقزام صغار ، في مرحلة تحتاج إلى العمالقة الكبار ، عمالقة الإيمـــان والـــوعي والتجـــرد والقـــدرة والشجاعة والبذل ، لمواجهة التحديات المصيرية من كل الجهات ، وعلى كل المستويات .

هل نكتب للشعوب ؟

وهل للشعوب دور حقيقي في توجيه أمورها ، وتقرير مصيرها هذه الأيام ؟

إنّ أكثر شعوب العالم الإسلاميّ لا تملك شيئاً من أمرها ، وإن تكلم المتحكمون فيها باسمهـــا ، وادّعـــوا أنهـــم يتحركون بإرادتها ..

إنّ المسلم في أكثر بلدان العالم الإسلاميّ يعيش مسلوب الحرية ، مسلوب الكرامة ، مسلوب الأمن ، مـــسلوب الحق في التفكير والتعبير فضلاً عن العمل .. بل إنّ المسلم يعيش مسخراً لغير ما يعتقد ويريد ، وضد ما يعتقد ويريد .

ولقد غدا الناس في أكثر بلاد العالم الإسلاميّ -إلاّ قليلاً منهم- مغلوبين على أمرهم ، ألجم أفواههم الطغيـــان ، وكبل خطاهم الإرهاب ، فخضعوا قسراً للطغيان والإرهاب ، ولم يعودوا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم شـــيئا .. أو منافقين ليس لهم عقيدة ، وليس لهم كرامة ، يصفقون لكل سيد ، ويخدمون كل مستبد ، ويقبلـــون لأنفـــسهم أن يكونوا له عيناً على المجاهدين ، وأذناً على الصادقين ، ورجلاً يمشي بها إلى المآرب الخسيسة ، ويداً يبطش بها بكل من يعترض طريقه إلى الباطل ، أو لا يكون عونه عليه ، طلباً للسلامة على حساب الحق والكرامة ، وتهافتاً على الحقـــير الحقير من متاع هذه الدنيا الزائل .. أو لا مبالين يتحركون ويتوجهون حيثما توجه التيار -وما أكثـــر اللامبـــالين في حياتنا وبلادنا هذه الأيام-

لمن نكتب من هؤلاء ؟

فلمن نكتب من هؤلاء ؟

إننا سنكتب لهؤلاء جميعاً وإن لم يكونوا هم قصدنا الأول ، وسنكتب لهم بإخلاص وأمل رغم كل شيء ، فـــلا يجوز لنا أن نفقد ثقتنا بالجانب الخير من الإنسان ، وبالاستعداد الذي ينطوي عليه للتقوى كما ينطوي عليه للفجور..

ونكتب لهم مغالبين يأسنا منهم ، وإحساسنا الذي يخامرنا أحياناً بأن الكتابة ضرب من العبث وإضاعة الوقـــت ليس من ورائه جدوى ، فالإسلام لا يقبل منا اليأس ، والكلمة المخلصة الواعية التي يرتبط بها حياة أصحابها يمكن أن تصنع الأعاجيب ، وأن تنقل الأفراد والمجتمعات من حال إلى حال ..

وسنستمر في الكتابة مهما كانت النتائج أيضاً ، فهذا هو واجبنا ، ولا بد لنا أن نعذر إلى الله عزَّ وجلّ :

﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُـــمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف : ١٦٤]

ونحن نكتب -علم الله- بقلم المحبة والصدق والنصيحة والإيجابية قبل كل شيء ، لا نريد الإدانة قدر مـــا نريـــد الإنقاذ ، ولا نقصد الإيلام كما نقصد العلاج .. ومن العلاج ما يكون أحياناً كيّاً بالنار .

قد تكون كتابتنا مؤلمة

وقد تكون كتابتنا أحياناً مؤلمة ، لأننا لا نرضى لأنفسنا أن نكرّر مئات الكتّاب الذين يكتبون أهواء الحاكمين أو المحكومين ، ونزغات النفوس المريضة وشهواتها ، وهم يدّعون زوراً أنهم يكتبون الحق ، ويرشدون إلى السبيل القويم .

ولا نقبل أن نكرر مئات الكتّاب الذين يلامسون بعض ظواهر العلة ونتائجها ، ويخافون أن يكشفوا عـــن العلـــة نفسها ، وأن يصلوا منها إلى الصميم .

ولأننا لا نكتب لنملأ الصفحات ، ونخدع أنفسنا بأننا كتبنا ، بل لنقول الحقيقة ولو كانت شديدة الإيلام ، غالية الثمن ، كما هي هذه الأيام ، فالقلم أمانة ومسؤولية كبيرة أمام الله تعالى ، ونحن لا نتحرك إلاّ في سبيله ، ولا نطلب إلاّ رضاه ولو سخط الناس ، وليس لنا رغبة إلاّ إليه وحده ، ولا رهبة إلاّ منه دون سواه .

من هم قصدنا الأول ؟

وبعد ، فمن هم قصدنا الأول عندما نمسك بالقلم ؟ وإلى من نتوجه بقلوبنا وأفكارنا وآمالنا أولاً عندما نخط هذه الحروف ؟

إننا نكتب قبل كل شيء إليكم أنتم يا قرّاء (الرائد) ، يا من استجبتم لنا ، وسرتم معنا ، أو التقت خطاكم بخطانا لقاءها الطبيعي على طريق الإسلام الحق ، والجهاد الصادق في سبيل الله عزَّ وجلّ .

نكتب إلى الطلائع الإسلاميّة الحقيقية القليلة العدد ، التي رحمها الله في هذا الواقع الفاسد ، فلم تخضع لرغبـــة أو رهبة ، و لم تتنكب طريق الجهاد على سائر المستويات .. هذه الطلائع المؤمنة المصممة التي يتحدى عناصرها بإيمـــانهم وتصميمهم وتضحيتهم قيود الفكر والضمير ، وقيود القول والتعبير ، وقيود الخطى على طريـــق الجهـــاد الـــصعب الطويل .. هذه الطلائع المخلصة الواثقة ، المصابرة المكافحة ، التي يشدّ بعضها إلى بعض الغاية الكـــبيرة ، والمنـــهج القويم ، والتي ستصنع بالتقائها –إن شاء الله– مستقبل الإسلام .

ونكتب أيضاً إلى جيل جديد ، جيل نراه من وراء سجف الحاضر بعين الأمل والشوق والحنين ، جيل يكون أقدر منّا على تجسيم الإسلام ، وفضائل الإسلام ، إمكانات الإسلام وعلى تحرير المسلمين من كل سلطان أجنبي مادي أو معنوي ، وبناء حياتهم كلها على أساس الإسلام ، ليعودوا إلى مكان الريادة والقيادة من الركب البشري ، وليكونـــوا كما أراد الله لهم ومنهم : خير أمة أخرجت للناس .

ليست الكتابة كل الجهاد

ونكتب ما نكتب ونحن نعتقد أن الكتابة جانب من جوانب الجهاد وليست كل الجهاد ، جانب لا بدّ أن تتكامل معه بقية الجوانب ، ليقع التغيير الجذري العميق في حياتنا وواقعنا الفاسد ، ويشرق لنا وبنا الفجر الإسلاميّ الـــصادق من أطباق الظلام المتراكم ، ويكون لنا النصر الذي وعدنا به الله .

بعد المعركة

كتبنا السطور المتقدمة قبل أن تبدأ معركة العاشر من رمضان ، فلعل هذه المعركة بأحداثها المؤثرة ، وبما كشفت عنه من حقائق ، تنفذ إلى أعماقنا جميعاً حكاماً ومحكومين ، وتهزنا هزاً عنيفاً يوقظنا من الـــسبات ، ويخلـــصنا مـــن الأهواء والشهوات ، ويحررنا من أخطاء الماضي وصغائره ، ويفتح أعيننا على حقائق الأمور ، ويؤهلنا لتحول حقيقي جذري على كل صعيد .. تحوّل حقيقي جذري على أساس الإسلام ، وعلى منهجه الإلهي العظيم ، فلا ســـبيل لنـــا سواه إلى النجاة والبقاء ، وإلى الحياة والتقدم والنصر .